

الفصل الثانى

مختارات^(*) من

نصوص ذو النون المصرى

أولاً : فى علامات الطريق الصوفى

ثانياً : فى معانى بعض معالم الطريق الصوفى

ثالثاً : فى الحب الإلهى

رابعاً : حكاياته مع أهل الطريق وأخوانه فى الله

خامساً : من عيون الشعر الصوفى لذى النون

سادساً : متفرقات صوفية

(*) أخذنا هذه المتفرقات من نصوص ذى النون من كتاب: الحافظ الأصفهانى

(المتوفى ٤٣٠هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الصادر عن دار الكتب

العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، الجزء التاسع

ص ٣٣١ وما بعدها. ونجيب القارئ العزيز على هذا الجزء والجزء العاشر إذا

أراد الإطلاع على مزيد من نصوص ذى النون.

الفصل الثامن

مختارات من نصوص ذى النون المصرى

أولاً - من ثلاثيات ذى النون فى علامات الطريق الصوفى:

(١) من ثلاثيات ذى النون فى «طرق المعرفة» :

* سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازى - المذكور
بنيسابور- يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون
المصرى يقول: تنال المعرفة بثلاث: بالنظر فى الأمور كيف دبرها،
وفى المقادير كيف قدرها، وفى الخلائق كيف خلقها؟

* حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني ثنا
أحمد بن محمد ابن حمدان النيسابورى ثنا عبد القدوس بن عبد
الرحمن الشاشى قال سمعت ذا النون المصرى يقول: إلهى ما أصغى
إلى صوت حيوان ولا حفيف شجر ولا خريبر ماء ولا ترنم طائر ولا
تنعم ظل ولا دوى ربح ولا قعقعة رعد إلا وجدتها شاهدة بوحدانيتك
دالة على أنه ليس كمثلك شىء وأنت غالب لا تغلب وعالم لا تجهل
وحليم لا تسفه وعدل لا تجور وصادق لا تكذب، إلهى فأنى أعترف

لك اللهم بما دل عليه صنعك، وشهد لك فعلك، فهب لى اللهم طلب رضاك برضاى ومسرة الوالد لولده يذكرك لمحبتى لك ووقار الطمأنينة وتطلب العزيمة إليك لأن من لم يشبعه الولوع باسمك ولم يروه من ظمائه ورود غدران ذكرك، ولم ينسه جميع الهموم رضاه عنك، ولم يلهه عن جميع الملاهى تعداد آلائك، ولم يقطععه عن الأنس بغيرك منك كانت حياته ميتة وميتته حسرة وسروره غصة وأنسه وحشة. إلهى عرفنى عيوب نفسى وافضحها عندى لأتضرع إليك فى التوفيق للتنزه عنها، وأبتهل إليك بين يديك خاضعا ذليلا فى أن تغسلنى منها، واجعلنى من عبادك الذين شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم تجول فى ملكوتك وتتفكر فى عجائب صنعك ترجع بفوائد معرفتك وعوائد إحسانك قد ألبستهم خلع محبتك وخلعت عنهم لباس التزين لغيرك. إلهى لا تترك بينى وبين أقصى مرادك حجابا إلا هتكته ولا حاجزا إلا رفعتة، ولا وعرا إلا سهلته، ولا بابا إلا فتحتة، حتى تقيم قلبى بين ضياء معرفتك، وتذيقنى طعم محبتك، وتبرد بالرضى منك فؤادى، وجميع أحوالى حتى لا أختار غير ما تختاره وتجعل لى مقاما بين مقامات أهل ولايتك ومضطربا فسيحا فى ميدان طاعتك، إلهى كيف استرزق من لا يرزقنى إلا من فضلك أم كيف أسخطك فى رضى من لا يقدر على ضرى إلا

بتمكينك. فيا من أسأله ايناسا به وايحاشا من خلقه ويا من إليه
التجائي في شدتي ورجائي ارحم غربتي وهب لي من المعرفة ما
أزداد به يقينا، ولا تكلني إلى نفسي الأمانة بالسوء طرفة عين.

(٢) من ثلاثيات ذى النون

فى علامات «الخوف» و«التوكل» و«الصبر» و«الحكمة»
و«الزهد» و«التواضع» و«السخاء» و«الحياء» و«المعرفة»
و«التسليم» .

* حدثنا أبى ثنا سعيد قال سمعت ذا النون يقول: ثلاثة علامات
الخوف: الورع عن الشبهات بملاحظة الوعيد، وحفظ اللسان مراقبة
للتعظيم ودواء الكمد إشفاقا من غضب الحليم. وثلاثة من أعمال
الإخلاص: استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤيتهم فى
الأعمال نظراً إلى الله واقتضاء ثواب العمل فى الآخرة بحسن عفو
الله فى الدنيا بحسن المدحة. وثلاثة من أعمال الكمال: ترك الجولان
فى البلدان، وقلة الاغترباط لنعماءه عند الامتحان، وصفو النفس فى
السرى والإعلان. وثلاثة من أعمال اليقين: قلة المخالفة للناس فى
العشرة، وترك المدح لهم فى العطية، والتنزه عن دمهم فى المنع
والرزية. وثلاثة من أعلام التوكل: نقض العلائق، وترك التملق فى

السلائق، واستعمال الصدق في الخلاق. وثلاثة من أعلام الصبر: التباعد عن الخلطاء في الشدة، والسكون إليه مع تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحة المعيشة. وثلاثة من أعلام الحكمة: إنزال النفس من الناس كباطنهم، ووعظهم على قدر عقولهم ليقوموا عنه بنفع حاضر. وثلاثة من أعلام الزهد: قصر الأمل، وحب الفقر، واستغناء مع صبر. وثلاثة من أعلام العبادة: حب الليل للسهر بالتهجد والخلوة، وكراهة الصبح لرؤية الناس والغفلة، والبدار بالصالحات مخافة الفتنة. وثلاثة من أعلام التواضع: تصغير النفس معرفة بالعيب، وتعظيم الناس حرمة للتوحيد، وقبول الحق والنصيحة من كل أحد. وثلاثة من أعمال السخاء: البذل للشيء مع الحاجة إليه، وخوف المكافأة استقلالاً للعطية، والخوف على النفس استغناء لادخال السرور على الناس. وثلاثة من أعلام حسن الخلق: قلة الخلاف على المعاشرين، وتحسين ما يرد عليه من أخلاقهم، وإلزام النفس اللاتمة فيما يختلفون فيه كفا عن معرفة عيوبهم. وثلاثة من أعلام الرحمة للخلق: انزواء العقل للملهوفين، وبكاء القلب لليتيم والمسكين، وفقدان الشماتة بمصائب المسلمين، وبذل النصيحة لهم متجرعاً لمرارة ظنونهم، وإرشادهم إلى مصالحهم وإن جهلوه وكرهوه. من أعظم الاستغناء

بالله: التواضع للفقراء المتذللين، والتعظيم على الأغنياء المتكبرين؛ وترك المعاشرة لأبناء الدنيا المستكبرين. وثلاثة من أعلام الحياء: وجدان الإنس بفقدان الوحشة، والامتلاء من الخلوة بادمان التفكير، واستشعار الهيبة بخالص المراقبة. وثلاثة من أعلام المعرفة: الإقبال على الله والانقطاع إلى الله، والافتخار بالله. وثلاثة من أعلام التسليم: مقابلة القضاء بالرضا، والصبر عند البلاء والشكر عند الرخا.

(٣) من ثلاثيات ذى النون

عن علامات «المحبة» و«الصواب» و«اليقين» و«الثقة في الله» و«الشكر» و«الرضى» و«الشوق» و«الأنس بالله».

* حدثنا أبى ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة ثنا سعيد بن عثمان قال سمعت ذا النون يقول: كم من مطيع مستأنس، وكم عاص مستوحش، وكم محب ذليل، وكل راج طالب قال وسمعتة يقول: اعلّموا أن العاقل يعترف بذنبه، ويحس بذنب غيره، ويوجد بما لديه ويزهد فيما عند غيره ويكف أذاه ويحتمل الأذى عن غيره والكرام يعطى قبل السؤال، فكيف يبخل بعد السؤال؟ ويعذر قبل الاعتذار، فكيف يحقد بعد الاعتذار؟ ويعف قبل الامتناع فكيف يطمع فى الازدياد. قال: وسمعتة يقول: ثلاثة من أعلام المحبة: الرضا فى

المكروه، وحسن الظن في المجهول، والتحسين في الاختيار في المحذور. وثلاثة من أعلام الصواب الأنس به في جميع الأحوال، والسكون إليه في جميع الأعمال، وحب الموت يغلبه الشوق في جميع الأشغال. وثلاثة من أعمال اليقين: النظر إلى الله تعالى في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال. وثلاثة من أعمال الثقة بالله: السخاء بالموجود، وترك الطلب للمفقود، والاستنابة إلى فضل الموجود. وثلاثة من أعمال الشكر: المقاربة من الاخوان في النعمة، واستغنام قضاء الحوائج قبل العطية، واستقلال الشكر لملاحظة المنة. وثلاثة من أعلام الرضى: ترك الاختيار قبل القضاء، وفقدان المرارة بعد القضاء، وهيجان الحب في حشو البلاء. وثلاثة من أعمال الإنس بالله: استلذاذ الخلوة والاستيحاش من الصحبة، واستحلاء الوحدة. وثلاثة من أعلام حسن الظن بالله: قوة القلب، وفسحة الرجا في الزلة، ونفى الایاس بحسن الإنابة. وثلاثة من أعلام الشوق: حب الموت مع الراحة، وبغض الحياة مع الدعة، ودوام الحزن مع الكفاية.

* حدثنا أبى ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة ثنا سعيد بن عثمان الخليل عن أبى الفيض ذى النون المصري قال: إن لله لصفوة من خلقه، وإن لله لخيرة من خلقه قليل له: يا أبا الفيض ذى النون

المصرى فما علامتهم؟ قال: إذا خلع العبد للراحة وأعطى المجهود في الطاعة وأحب سقوط المنزلة قيل له: يا أبا الفيض فما علامة إقبال الله عز وجل على العبد؟ قال: إذا رأيته صابرا شاكرا ذاكرا فذلك علامة إقبال الله على العبد. قيل: فما علامة إعراض الله عن العبد؟ قال إذا رأيته ساهيا راهبا معرضا عن ذكر الله فذاك حين يعرض الله عنه. ثم قال: ويحك كفى بالمعرض عن الله وهو يعلم أن الله مقبل عليه وهو معرض عن ذكره: قيل له أبا الفيض فما علامة الإنس بالله؟ إذا رأيته يؤنسك بخلقه فإنه يوحشك من نفسه، وإذا رأيته يوحشك من خلقه فإنه يؤنسك بنفسه ثم قال أبو الفيض: الدنيا والخلق لله عبيد، خلقهم للطاعة وضمن لهم أرزاقهم ونهاهم وحذرهم وأنذرهم، فحرصوا على ما نهاهم الله عنه، وطلبوا الأرزاق وقد ضمنها الله لهم، فلا هم في أرزاقهم استزادوا. ثم قال: عجا لقلوبكم كيف لا تتصدع!! ولأجسامكم كيف لا تتضعع، إذا كنتم تسمعون ما أقول لكم وتعقلون.

ثانياً - فى معانى بعض معالم الطريق الصوفى :

(١) فى معنى «الذكر» وطريق الصدق والمعرفة :

* حدثنا أبى ثنا أحمد ثنا سعيد بن عثمان. قال سمعت ذا النون يقول: ويحك من ذكر الله على حقيقة نسى فى حبه كل شىء، ومن نسى فى حبه كل شىء حفظ الله عليه كل شىء وكان له عوضاً فى كل شىء قال : وسمعت ذا النون وأتاه رجل فقال: يا أبا الفيض دلنى على طريق الصدق والمعرفة. فقال: يا أخى أد إلى الله صدق حالتك التى أنت عليها على موافقة الكتاب والسنة، ولا ترق حيث لم ترق فتزل قدمك فإنه إذا زل بك لم تسقط، وإذا ارتقيت أنت تسقط. وإياك أن تترك ما تراه يقينا لما ترجوه شكاً. قال: وسمعت ذا النون يقول حينما سئل: متى يجوز للرجل أن يقول: أرانى الله كذا وكذا؟ فقال: إذا لم يطق ذلك. ثم قال ذو النون: أكثر الناس إشارة إلى الله فى الظاهر أبعدهم من الله، وأرغب الناس فى الدنيا وأخفاهم لها طلباً أكثرهم لها ذمّاً عند طلابها. قال وسمعت يقول: كلت السنة المحققين لك عن الدعاوى ونظمت السنة المدعين لك بالدعاوى. قال وسمعت ذا النون يقول: لا يزال العارف ما دام فى دار الدنيا متردداً بين الفقر والفخر، فإذا ذكر الله افتخر وإذا ذكر نفسه افتقر. قال وسمعت ذا

النون حينما سئل: بم عرف العارفون ربهم؟ فقال: إن كان بشيء فبقطع الطمع والإشراف منهم على اليأس مع التمسك منهم بالأحوال التي أقامهم عليها وبذل المجهود من أنفسهم ثم إنهم وصلوا بعد إلى الله بالله.

* عن عبد الله بن ميمون قال: سألت ذا النون عن كمال العقل وكمال المعرفة فقال: إذا كنت قائما بما أمرت به تاركا لتكلف ما كفيت فأنت كامل العقل، وإذا كنت متعلقا بالله في أحوالك لا بأعمالك غير ناظر إلى سواه فأنت كامل المعرفة.

(٢) في حب الدنيا ومعنى «الإخلاص» :

* حدثنا عثمان بن محمد العثمانى ثنا أبو الحسن الرازى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول قال ذو النون: صدور الأحرار قبور الأسرار، قال وسئل ذو النون: لم أحب الناس الدنيا؟ قال لأن الله تعالى جعلها خزانة أرزاقهم فمدوا أعينهم إليها، وقيل له ما إسناد الحكمة؟ قال: وجودها. وسئل يوما فيم يجد العبد الإخلاص؟ فقال الإخلاص في الإخلاص، فإذا أخلص تخلص فقليل فما علامة الإخلاص؟ قال: إذا لم يكن في عملك صحبة المخلوقين ولا مخافة ذمهم فأنت مخلص إن شاء الله تعالى.

(٣) فى أبواب «الفطنة» ومعالم «الطريق إلى الله» :

* أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب البغدادى ثنا أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن هاشم قال قلت لذى النون: كم الأبواب إلى الفطنة؟ قال أربعة أبواب: أولها الخوف، ثم الرجاء، ثم المحبة ثم الشوق. ولها أربعة مفاتيح فالفرض مفتاح باب الخوف، والنافلة مفتاح باب الرجاء وحب العبادة والشوق مفتاح باب المحبة، وذكر الله الدائم بالقلب واللسان مفتاح باب الشوق، وهى درجة الولاية، فإذا همت بالارتقاء فى هذه الدرجة فتناول مفتاح باب الخوف، فإذا فتحته اتصلت إلى باب الفطنة مفتوحا لا غلق عليه، فإذا دخلته فما أظنك تطيق ما ترى فيه حينئذ يجوز شرفك الإشراف، ويعلو ملكك ملك الملوك، واعلم أى أخى أنه ليس بالخوف ينال الفرض، ولكن بالفرض ينال الخوف، ولا بالرجاء تنال النافلة. ولكن بالنافلة ينال الرجاء كما أنه ليس بالأبواب تنال المفاتيح، ولكن بالمفاتيح تنال الأبواب، واعلم أنه من تكامل فيه الفرض فقد تكامل فيه الخوف، ومن جاء بالنافلة فقد جاء بالرجاء، ومن جاء بمحبة العبادة فقد وصل إلى الله، ومن شغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله فى قلبه نور الاشتياق إليه، وهذا سر الملكوت فاعلمه واحفظه حتى، يكون الله عز وجل هو الذى يناوله من يشاء من عباده.

(٤) فى «معنى الزهد» و«القرب من الله» :

* حدثنا عثمان بن أحمد ثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال سمعت يوسف بن الحسن يقول: أتى رجل من أهل البصرة ذا النون فسأله: متى تصح لى عزلة الخلق قال: إذا قويت على عزلة نفسك. قال: فمتى يصح طلبى للزهد قال: إذا كنت زاهدا فى نفسك هاربا من جميع ما يشغلك عن الله لأن جميع ما يشغلك عن الله هى الدنيا. قال يوسف: فذكرت ذلك لطاهر القدسى فقال: هذا نزل أخبار المرسلين.

* حدثنا أبى ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة ثنا أبو عثمان سعيد ابن عثمان قال سمعت ذا النون المصرى - وسئل: أى الحجاب أخفى الذى يحتجب به المريد عن الله؟ فقال: ويحك: ملاحظة النفس وتدبيرها. وقال ذو النون: وقال بعضهم: علم القوم بأن الله يراهم على كل حال فاحترزوا به عن سواه فقال له غيره من أصحابه من الزهاد - وكان حاضرا بمجلسه يقال له طاهر - يا أبا الفيض رحمك الله! بل نظروا بعين اليقين إلى محبوب القلوب فرأوه فى كل حالة موجودا، وفى كل لحظة قريبا، وبكل رطب ويابس عليهما، وعلى كل ظاهر وباطن شهيدا، وعلى كل مكروه ومحبوب قائما، وعلى تقرب البعيد وتباعد القريب مقتدرا. ولهم فى كل الأحوال

والأعمال سائسا، ولما يريدكم به موفقا، فاستغنوا بسياسته وتدبيره وتقويته عن تدبير أنفسكم، وخاضوا البحار وقطعوا القفار بروح النظر إلى نظره البهيج، وخرقوا الظلمات بنور مشاهدته، وتجرعوا المرات بحلاوة وجوده، وكابدوا الشدائد واحتملوا الأذى في جنب قربه وإقيان عليهم، وخاطروا بالنفوس فيما يعلمون ويحملون ثقة منهم باجتيازه، ورضوا بما يضعهم فيه من الأحوال محبة منهم لإرادته وموافقة لرضاه، ساخطين على أنفسهم معرفة منهم بحقه، واستعدادا للعقوبة بعدله عليهم، فأداهم ذلك إلى الابتلاء منه فلم تسع عقولهم ومفاصلهم وقلوبهم محبة لغيره، ولم تبق زنة خردلة منهم خالية منه ولا باقيا فيهم سواه، فهم له بكليتهم، وهو لهم حظ في الدنيا والآخرة، وقد رضى عنهم ورضوا عنه، وأحبهم فأحبوه، وكانوا له وكان لهم، وآثروه وآثرهم، وذكره فذكرهم ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢٢) فصاح عند ذلك ذو النون وقال: أين هؤلاء؟ وكيف الطريق إليهم وكيف المسالك؟ فصاح به: يا أبا الفيض! الطريق مستقيم، والحجة واضحة. فقال له: صدقت والله يا أخي، فالهرب إليه ولا تعرج إلى غيره.

(٥) فى معنى «التوكل»:

* حدثنا أبى ثنا أحمد ثنا سعيد قال ذو النون وسأله رجل فقال: يا أبا الفيض ما التوكل؟ فقال له: خلع الأرباب وقطع الأسباب. فقال له: زدنى فيه حالة أخرى. فقال: إلقاء النفس فى العبودية وإخراجها من الربوبية. قال وسمعت ذا النون يقول: طوبى لمن تطهر ولزم الباب، طوبى لمن تضرمر للسباق، طوبى لمن أطاع الله أيام حياته. قال وسمعته يقول: من وثق بالمقادير استراح، ومن صحح استراح ومن تقرب قرب، ومن صفى صفى له، ومن توكل وفق، ومن تكلف مالا يعنيه ضيع ما يعنيه.

(٦) فى حقيقة «السخاء»:

* حدثنا عثمان بن محمد ثنا أبو بكر البغدادي قال سمعت عبد الله بن سهل الرازي يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول قال ذو النون: حقيقة السخاء أن تلزم البخيل فى منعه إياك لوما لأنك إنما لمته واشتغلت به لوقوع ما منعك فى قلبك ولو هان ذلك عليك لم تشتغل بلومه ثم أنشأ يقول:

كريم كصفو الماء ليس بباخل * بشىء ولا مهد ملاما لباخل

(٧) فى حقيقة «الدنيا»:

* حدثنا عثمان ثنا أحمد بن محمد بن عيسى ثنا محمد بن أحمد بن سلمة قال سمعت ذا النون وقيل له: ما علامة الأنس بالله! قال إذا رأيت أنه يوحشك من خلقه فإنه يؤنسك بنفسه، وإذا رأيت أنه يؤنسك بخلقه فاعلم أنه يوحشك من خلقه. ثم قال: الدنيا لله أمة، والخلق لله عبيد، خلقهم للطاعة، وضمن لهم أرزاقهم، فحرصوا على أمته، وقد نهاهم، وطلبوا الأرزاق وقد ضمنها لهم، فلاهم على أمته قدروا، ولا هم فى أرزاقهم استزادوا. ثم قال:

عجباً لقلبك كيف لا يتصدع ولركن جسمك كيف لا يتضعض
فاكحل بلمول السهاد لدى الدجى إن كنت تفهم ما أقول وتسمع
منع القرآن بوعدده وعييده فعل العيون بليها أن تهجع
فهموا عن الملك الكريم كلامه فهما تذلل له الرقاب وتخضع

(٨) فى «الذنب» وأسبابه :

* حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن عبيد الله ثنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشاء ثنا أبو عثمان سعيد بن الحكم - تلميذ ذى النون - قال: سئل ذو النون: ما سبب الذنب؟ قال: اعقل ويحك ما تقول، فإنها من مسائل الصديقين. سبب الذنب النظرة، ومن النظرة

الخطرة، فإن تداركت الخطرة بالرجوع إلى الله ذهبت، وإن لم تذكرها امتزجت بالوساوس فتتولد منها الشهوة وكل ذلك بعد باطن لم يظهر على الجوارح، فإن تذكرت الشهوة وإلا تولد منها الطلب، فإن تداركت الطلب وإلا تولد منه الفعل.

* حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم ثنا أبو حامد أحمد بن محمد النيسابوري ثنا عبد القدوس بن عبد الرحمن قال قيل لأبى الفيض ذى النون: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت تعباً إن نفعتى تعبى والموت يجد فى طلبى. وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت مقيماً على ذنب ونعمة، فلا أدري من الذنب أستغفر أم على النعمة أشكر. وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بطلاً عن العبادة متلوثاً بالمعاصي، أتمنى منازل الأبرار وأعمل عمل الأشرار. وسمعت ذا النون يقول: إلهى لو أصبت موثلاً فى الشدائد غيرك أو ملجأ فى المنازل سواك لحق لى أن لا أعرض إليه بوجهى عنك، ولا أختاره عليك، لتقديم إحسانك إلى وحديثه، وظاهر منتك على وباطنها، ولو تقطعت فى البلاء إرباً إرباً، وانصبت على الشدائد صبا صبا، ولا أجد مشتكى غيرك، ولا مفرجاً لما بى عنى سواك. فيا وارث الأرض ومن عليها، يا باعث جميع من فيها، ورث أملى فيك منى أملى، وبلغ همى فيك منتهى وسائلى.

(٩) الزهد «وصفة التوحيد» :

* حدثنا عثمان بن محمد العثماني ثنا أبو الحسن أحمد بن عيسى الرازي ثنا محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري قال سمعت ذا النون يقول: يا خراساني إحدِر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعا. قلت: وكيف ذلك؟ قال: لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه. ثم قال: تعلق الناس بالأسباب وتعلق الصديقون بولى الأسباب. ثم قال: علامة تعلق قلوبهم بالعطايا طلبهم منه العطايا، ومن علامة تعلق قلب الصديق بولى العطايا أنصباب العطايا عليه وشغله عنها به. ثم قال: ليكن اعتمادك على الله فى الحال لا على الحال مع الله. ثم قال: أعقل فإن هذا من صفة التوحيد.

* حدثنا عثمان بن محمد أخبرنا أحمد بن محمد قال سمعت يوسف بن الحسين يقول قلت لذى النون: دلنى على الطريق الذى يؤدىنى إليه من ذكره. فقال: من أنس بالخلة فقد استمكن من بساط الفراغ، ومن غيب عن ملاحظة نفسه فقد استمكن من مقاعد الإخلاص، ومن كان حظه من الأشياء هواه لم يبال على أى جنب وقع. قال: وسمعت ذا النون يقول: العارف متلوث الظاهر صافى الباطن. والزاهد صافى الظاهر متلوث الباطن. قال: وسمعت ذا

النون يقول: إن المؤمن إذا آمن بالله واستحكم إيمانه خاف الله، فإذا خاف الله تولدت من الخوف هيبة الله فإذا سكن درجة الهيبة دامت طاعته لربه فإذا أطاع تولدت من الطاعة الرجاء فإذا سكن درجة الرجاء تولدت من الرجاء المحبة، فإذا استحكمت معانى المحبة فى قلبه سكن بعدها درجة الشوق فإذا اشتاق أداه الشوق إلى الأُنس بالله فإذا اطمأن إلى الله كان ليله فى نعيم، ونهاره فى نعيم، وسره فى نعيم، وعلايته فى نعيم.

ثالثاً - فى الحب الإلهى :

(١) الحب أغلب «أحوال» العارف :

* حدثنا ظفر ثنا محمد بن أحمد بن محمد حدثنى أحمد بن عبد الله بن ميمون قال سمعت ذا النون يقول وقد سئل عن أول درجة يلقاها العارف قال التحير ثم الافتقار ثم الاتصال ثم انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة. قال: وسئل ذو النون ما أغلب الأحوال على العارف. قال حبه، والحب فيه، ونشر الآلاء وهى الأحوال التى لا تفارقه.

* حدثنا أحمد بن محمد ثنا الحسن بن على بن خلف قال سمعت إسرائيل يقول: أنشدنا ذو النون بن إبراهيم المصرى فقال:
توجع بأمراض وخوف مطالب * وإشفاق محزون وحزن كئيب
ولوعة مشتاق وزفرة واله * وسقطة مسقام بغير طبيب
وفطنة جوال ويطاة غائص * ليأخذ من طيب الصفا بنصيب
ألت بقلب حيرته طوارق * من الشوق حتى ذل ذل غريب
يكاتم لى وجدا ويخفى حمية * ثوت فاستكنت فى قرار لبيب
خلا فهمه عن فهمه لحضوره * فمن فهمه فهم عليه رقيب
يقول إذا ما شفه الشوق واجدى * بك العيش يا أنس المحب يطيب
فهذا لعمرى عبد صدق مهذب * صفى فاصطفى فالرب منه قريب

(٢) معنى «الحب» وشواهد:

* حدثنا عثمان بن محمد قال سمعت أحمد بن عبد الله بن سليمان الدمشقي يقول سمعت أبا جعفر محمد بن خلف بن ضوء الرقي يقول سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الله الصوفي يقول سئل ذو النون المصري عن المحبة فقال: هي التي لا تزيدها منفعة ولا تنقصها مضرة. ثم أنشأ يقول:

شواهد أهل الحب باد دليلها * بأعلام صدق ما يضل سبيلها
جسوم أولى صدق المحبة والرضى * تبين عن صدق الوداد نحو لها
إذا ناجت الأفهام أنس نفوسهم * بالسنة تخفى على الناس قبلها
وضجت نفوس المستهامين واشتكت * جوى كان عن أجسامها شربيلها
يحنون حزنا ضاعف الخوف شجوه * ونيران شوق كالسعير عليها
وساروا على حب الرشاد إلى العلى * نوم بهم تقواه وهو دليلها
فحطو بدار القدس في خير منزل * وفاز بزلفى ذى الجلال حلولها

(٣) طعم الحب الإلهي والعلم والقرآن هما «الإنس بالله»:

* حدثنا محمد بن عثمان بن محمد ثنا أحمد بن محمد بن عيسى ثنا يوسف بن الحسين قال سمعت ذا النون يقول: الحب لله عام، والود لله خاص، لأن كل المؤمنين يذوقون حبه وينالونه وليس كل مؤمن ينال وده. ثم أنشأ يقول:

من ذاق طعم الوداد * حمى جميع العباد
من ذاق طعم الوداد * قلى جميع العباد
من ذاق طعم الوداد * سلى طريق العباد
من ذاق طعم الوداد * أنس برب العباد
* حدثنا عثمان بن محمد ثنا عبد الله بن جعفر المصري ثنا عبد
الله بن محمد البرقي قال سمعت ذا النون يقول: الأنس بالله نور
ساطع، والأنس بالناس غم واقع. قيل لذي النون: ما الأنس بالله!
قال: العلم والقرآن.

(٤) علامة المحب :

* حدثنا محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون قال سمعت ذا
النون يقول: قل لمن أظهر حب الله أحذر أن تذلل لغير الله، ومن
علامة المحب لله أن لا يكون له حاجة إلى غير الله.

(٥) القرب في القرب :

* حدثنا أحمد بن محمد بن مقسم ثنا الحسن بن علي بن خلف
قال سمعت إسرافيل يقول سمعت ذا النون يقول: يا رب أنت الذى
دخل فى رحمتك كل شىء فلم تضق إلا عمن ارتجله الشك إلى
جحدك. قال وسمعت ذا النون يقول وقد وقف عليه رجل فسأله شيئاً

فقال له ذو النون إن المتكفل برزقك غير متهم عليك. قال: وكنت مع ذى النون فى سفينة وأجد فى فمى بلة فبزقتها فى الماء فقال: تعست يا بغيض تبزق على نعمة الله. قال: وأنشدنى ذو النون رحمه الله تعالى:

مجال قلوب العارفين بروضة
سماوية من دونها حجب الرب
تكنفها من عالم السر قربه
فلو قدر الآجال ذابت من الحب
واروى صداها كأس صرف بحبه
وبرد نسيم جل عن منتهى الخطب
فيا لقلوب قربت فتقربت
لذى العرش ممازين الملك بالقرب
رضيها فأرضاها فحازت مدى الرضى
وحلت من المحبوب بالمنزل الرحب
لها من لطيف العزم عزم سرت به
وتهتك بالأفكار ما داخل الحسب
سرى سرها بين الحبيب وبينها
فأضحى مصونا عن سوى القرب فى القرب
قال وسمعت ذا النون يقول: اجلس إلى من تكلمك صفته ولا
تجلس إلى من يكلمك لسانه.

رابعاً - حكاياته مع أهل الطريق وأخوانه فى الله :

(١) مع أخيه العليل: حول «نعمة المرض» :

* حدثنا أبى ثنا سعيد بن أحمد ثنا عثمان قال سمعت ذا النون يقول: اعتل رجل من إخوانى فكتب إلى أن أدعو الله لى، فكتبت إليه سألتنى أن أدعو الله لك أن يزيل عنك النعم، وأعلم يا أخى أن العلة مجزلة يأنس بها أهل الصفا والهمم والضياء فى الحياة ذكرك للشفاء ومن لم يعد البلاء نعمة فليس من الحكماء ومن لم يأمن التشفيق على نفسه فقد أمن أهل التهمة على أمره، فليكن معك يا أخى حياء يمنعك عن الشكوى والسلام.

(٢) مع جارية أنطاكية: حول معنى «السخاء» و«الطاعة»:

* حدثنا عبد الله بن محمد ثنا أبو بكر الدينورى . وحدثنا محمد بن إسحاق الشمشاطى قال سمعت ذا النون يقول: بينما أنا أسير فى جبال أنطاكية وإذا أنا بجارية كأنها مجنونة وعليها جبة من صوف فسلمت عليها فردت السلام ثم قالت أأست ذا النون المصرى؟ قلت عافاك الله كيف عرفتيني؟ قالت فتق الحبيب بينى وبين قلبك فعرفتك باتصال معرفة حب الحبيب ثم قالت اسألك مسألة؟ قلت سألنى قالت أى شئ السخاء؟ قلت البذل والعطاء.

قالت هذا السخاء فى الدنيا فما السخاء فى الدين قلت المسارعة إلى طاعة المولى قالت فإذا سارعت إلى طاعة المولى تحب منه خيراً قلت نعم للواحد عشرة قالت مر بابطال هذا، وهذا فى الدين قبيح ولكن المسارعة إلى طاعة المولى أن يطلع إلى قلبك وأنت لا تريد منه شيئاً بشيء. ويحك يا ذا النون أنى أريد أن أقسم عليه فى طلب شهوة منذ عشرين سنة فاستحيى منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجر ولكن أعمل تعظيماً لهيبته وعز جلاله قال ثم مرت وتركتنى.

(٣) حوار مع امرأة حول «أحزان الغربة» وفضل «البكاء» لدى العارفين :

* حدثنا أبى ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة وأحمد بن محمد بن أبان قالاً: ثنا سعيد بن عثمان حدثنى ذو النون قال: بينما أنا فى بعض مسيرى إذ لقيتنى امرأة فقالت لى: من أين أنت؟ قلت رجل غريب. فقالت لى: ويحك وهل يوجد مع الله أحزان الغربة؟ وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء؟ قال فبكيت فقالت لى: ما يبكيك؟ قلت: وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع لى نجاحه. قالت: فإن كنت صادقاً فلم بكيت؟ قلت: والصادق لا يبكى؟ قالت: لا! قلت: ولم؟ قالت: لأن البكاء راحة للقلب، وملجأ يلجأ إليه، وما كتم

القلب شيئاً أحق من الشهيق والزفير، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب، وهذا ضعف الأطباء بأبطال الداء قال. فبقيت متعجبا من كلامها، فقالت لى: مالك؟ قلت: تعجبت من هذا الكلام. قالت: وقد نسيت القرحة التى سألت عنها؟ قلت: لا ما أنا بالمستغنى عن طلب الزوائد قالت: صدقت حب ربك سبحانه، واشتق إليه فإن له يوما يتجلى فيه على كرسى كرامته لأوليائه وأحبابه فيذيقهم من محبته كأسا لا يظمأون بعده أبدا قال: ثم أخذت فى البكاء والزفير والشهيق وهى تقول: سيدى إلى كم تخلفنى فى دار لا أجد فيها أحدا يسعبنى على البكاء أيام حياتى ثم تركتنى ومضت.

(٤) حوار بين رجل وعالم يرويه ذو النون :

* حدثنا أحمد قال سمعت أبا محمد يقول سمعت إسرائيل يقول سمعت ذا النون يقول: كتب رجل إلى عالم: ما الذى أكسبك علمك من ربك، وما أفادك فى نفسك؟ فكتب إليه العالم: أثبت العلم الحجة، وقطع عمود الشك والشبهة، وشغلت أيام عمرى بطلبه، ولم أدرك منه ما فاتنى. فكتب إليه الرجل: العلم نور لصاحبه، ودليل على حظه، ووسيلة إلى درجات السعداء. فكتب إليه العالم: أبليت إليه فى طلبه جدة الشباب، وأدركنى حين علمت الضعف عن العمل به، ولو اقتصررت منه على القليل كان لى فيه مرشد إلى السبيل.

* حدثنا عبد الله بن محمد ثنا أبو بكر الدينوري ثنا محمد بن أحمد الشمشاطى قال سمعت ذا النون المصرى يقول: بينما أنا سائر على شاطئ نيل مصر إذا أنا بجارية تدعو وهى تقول فى دعائها: يا من هو عند ألسن الناطقين، يا من هو عند قلوب الذاكرين، يا من هو عند فكرة الحامدين، يا من هو على نفوس الجبارين والمتكبرين، قد علمت ما كان منى يا أمل المؤمنين. قال: ثم صرخت صرخة وخرت مغشيا عليها. قال وسمعت ذا النون يقول: دخلت إلى سواد نيل مصر فجاءنى الليل فقممت بين زروعها، فإذا أنا بامرأة سوداء قد أقبلت إلى سنبلة ففركتها ثم امتنعت عليها فتركها وبكت وهى تقول: يا من بذره حبا يابساً فى أرضه ولم يك شيئاً، أنت الذى صيرته حشيشاً ثم أنبته عوداً قائماً بتكوينك وجعلت فيه حبا متراكباً، ودورته فكونته وأنت على كل شىء قدير. وقالت: عجبت لمن هذه مشيئته كيف لا يطاع، وعجبت لمن هذا صنعه كيف يشتكى. فدنوت منها فقلت: من يشكو أمل المؤمنين؟ فقالت لى: أنت يا ذا النون، إذا اعتللت فلا تجعل علتك إلى مخلوق مثلك، واطلب دواءك ممن ابتلاك وعليك السلام، لا حاجة لى فى مناظرة الباطلين. ثم أنشأت تقول:

وكيف تنام العين وهى قريرة * ولم تدر فى أى المحلين تنزل

(٥) مع «مُحب» بيت المقدس :

* حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد ثنا أحمد بن عيسى الوشاء قال سمعت أبا عثمان سعيد بن الحكم يقول سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم يقول: بينما أنا أسير ذات ليلة ظلماء فى جبال بيت المقدس، إذ سمعت صوتاً حزيناً وبكاءً جهيراً وهو يقول: يا وحشته بعد أنسنا يا غربته عن وطننا وافقره بعد غنانا واذلاه بعد عزنا. فتبعت الصوت حتى قربت منه فلم أزل أبكى لبكائه حتى إذا أصبحنا نظرت إليه فإذا رجل ناحل كالشن المحترق فقلت يرحمك الله تقول مثل هذا الكلام. فقال: دعنى فقد كان لى قلب فقدته، ثم أنشأ يقول:

قد كان لى قلب أعيش به

بين الهوى فرماه الحب فاحترقا

فقلت له :

لم تشـتـكى ألم البـلا

وأنت تنـتـحل المحـبـه

إن المحـبـب هــو

الصـبـور عـلى البـلاء لمن أحـبه

حـب الـآلـه هــو

السـرور مع الشـفـاء لكل كـربه

(٦) مع رفيقة «رابعة العدوية» حول «الحب» :

* حدثنا عثمان بن محمد بن عثمان ثنا محمد بن أحمد الواعظ ثنا العباس بن يوسف الشكلى ثنا سعيد بن عثمان. قال: كنت مع ذى النون فى تيه بنى إسرائيل فبينما نحن نسير إذا بشخص قد أقبل فقلت: أستاذ شخص، فقال لى: انظر فإنه لا يضع قدمه فى هذا المكان إلا صديق. فنظرت فإذا امرأة، فقلت: إنها امرأة، فقال: صديقة ورب الكعبة. فابتدر إليها وسلم عليها فردت السلام ثم قالت: ما للرجل ومخاطبة النساء؟ فقال لها: إنى أخوك ذا النون ولست من أهل التهم. فقلت: مرحبا حياك الله بالسلام. فقال لها: ما حملك على الدخول إلى هذا الموضع؟ فقلت: آية فى كتاب الله تعالى: (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) فكلما دخلت إلى موضع يعصى فيه لم يهتنى القرار فيه بقلب قد أبهلتته شدة محبته، وهام بالشوق إلى رؤيته. فقال لها: صفى لى فقلت: يا سبحان الله! أنت عارف تكلم بلسان المعرفة تسألنى؟ فقال يحق للسائل الجواب. فقلت: نعم، المحبة عندى لها أول وآخر، فأولها لهج القلب بذكر المحبوب، والحزن الدائم، والتشوق اللازم، فإذا صاروا إلى أعلاها شغلهم وجدان الخلوات عن كثير من أعمال الطاعات. ثم أخذت فى الزفير والشهيق وأنشأت تقول:

فأحبك حنين حب الهوى
وحسبنا لأنك أهل لذاكنا
أما الذى هو حب الهوى
فذكر شغلت به عن سواكنا
وأما الذى أنت أهل له
فكشفك للحجب حتى أراكنا
فما الحمد فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاكنا
ثم شهقت شهقة فإذا هى قد فارقت الدنيا.

(٧) مع رجل غاص فى بحر الوله :

* حدثنا محمد بن محمد بن عبد الله بن زيد ثنا أبو العباس
أحمد بن عيسى الوشاء ثنا سعيد بن عبد الحكم قال سمعت ذا
النون يقول: خرجت فى طلب المناجاة فإذا أنا بصوت فعدلت إليه
فإذا أنا برجل قد غاص فى بحر الوله، وخرج على ساحل الكمه،
وهو يقول فى دعائه: أنت تعلم أنى لأعلم أن الاستغفار مع الإصرار
لؤم، وأن تركى الاستغفار مع معرفتى بسعة رحمتك لعجز، إلهى
أنت الذى خصصت خصائصك بخالص الأخلاص، وأنت الذى سلمت
قلوب العارفين من اعتراض الوسواس، وأنت آنست الآتسين من
أوليائك، وأعطيتهم كفاية رعاية المتوكلين عليك، تكلؤهم فى

مضاجعهم، وتطلع على سرائرهم، وسرى عندك مكشوف، وأنا إليك ملهوف. قال: ثم سكنت صرخته فلم أسمع له صوتا.

(٨) مع فتى المركب :

* حدثنا عثمان بن محمد ثنا أبو بكر محمد بن أحمد البغدادى ثنا أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن هاشم قال قلت لذى النون: صف لنا من خيار من رأيت. فذرفت عيناه وقال: ركبنا مرة فى البحر نريد جدة، ومعنا فتى من أبناء نيف وعشرين سنة، قد ألبس ثوبا من الهيبه. فكنت أحب أن أكلمه فلم أستطيع. بينما نراه قارئا، وبينما نراه صائما وبينما نراه مسبحا. إلى أن رقد ذات يوم، ووقعت فى المركب تهمة فجعل الناس يفتش بعضهم بعضا إلى أن بلغوا إلى الفتى النائم فقال صاحب الصرة: لم يكن أحد أقرب إلى من هذا الفتى النائم. فلما سمعت ذلك قمت فأيقظته فما كان حتى توضأ للصلاة وصلى أربع ركعات ثم قال: يا فتى ما تشاء؟ فقلت: إن تهمة وقعت فى المركب وإن الناس قد فتش بعضهم بعضا حتى بلغوا إليك. فالتفت إلى صاحب الصرة وقال: أكما يقول؟ فقال: نعم! لم يكن أحد أقرب إلى منك. فرفع الفتى يديه يدعو وخفت على أهل المركب من دعائه وخيل إلينا أن كل حوت فى البحر قد خرج وفى فم كل حوت درة فقام الفتى إلى جوهرة فى حوت فأخذها

فألقاها إلى صاحب الصرة وقال: فى هذه عوض مما ذهب منك وأنت فى حل.

(٩) مع الفتى الناسك :

* حدثنا عثمان بن محمد العثمانى ثنا محمد بن أحمد المذكر عن بعض أصحابه قال قال ذو النون لفتى من الناسك: يا فتى خذ نفسك بسلاح الملامة وأقمعها بزد الظلامة، تلبس غدا سراويل السلامة، وأقصرها فى روضة الأمان وذوقها مضض فرائض الإيمان، تظفر بنعيم الجنان. وجرعها كأس الصبر، ووطنها على الفقر، حتى تكون تام الأمر. فقال له الفتى: وأى نفس تقوى على هذا؟ فقال: نفس على الجوع صبرت، وفى سراويل الظلام خطرت. نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرط ولا ثنيا. نفس تدرعت رهبانة القلق، ورعت الدجا إلى واضح الفلق، فما ظنك بنفس فى وادى الحنادس سلكت، وهجرت اللذات فملككت، وإلى الآخرة نظرت، وإلى العيناء أبصرت، وعن الذنوب أقصرت، وعلى الذر من القوت اقتصرت، ولجيشوش الهوى قهرت، وفى ظلم الدياجى سهرت، فهى بقناع الشوق مختمرة، وإلى عزيزها فى ظلم الدجا مشتمرة، قد نبذت المعاش، ورعت الحشايش. هذه نفس خدوم عملت ليوم القدوم، وكل ذلك بتوفيق الحى القيوم.

(١٠) مع فتاة «الكعبة» والفتى الشره :

* حدثنا عثمان بن محمد العثمانى حدثنى محمد بن إبراهيم المذكر ثنا العباس بن يوسف الشكلى ثنا محمد بن يزيد قال سمعت ذا النون يقول: خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فبينما أنا بالطواف إذا بشخص متعلق بأستار الكعبة، وإذا هو يبكى وهو يقول فى بكائه: كتمت بلائى من غيرك، وبحت بسرى إليك، واشتغلت بك عمن سواك، عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك! ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك؟ ثم أنشأ يقول:

ذوقتنى طيب الوصال فزدتنى * شوقا إليك مخامر الحسرات
ثم أقبل على نفسه فقال: أمهلك فما ارعويت، وستر عليك فما استحييت، وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت، ثم قال: عزيزى ما لى إذا قمت بين يديك ألقيت على النعاس، ومنعتنى حلاوة قرّة عينى له ثم أنشأ يقول:

روعت قلبى بالفسراق فلم أجد * شيئا أمر من الفراق وأوجعا
حسب الفراق بأن يفرق بيننا * وأطال ما قد كنت منه مودعا
قال: فلم أتمالك أن أتيت الكعبة مستخفيا، فلما أحس تحلل بخمار كان عليه ثم قال: يا ذا النون غض بصرك من مواقع النظر فأنى حرام، فعلمت أنها امرأة. فقلت: يا أمة الله مم يحوى الهموم

قلب المحب؟ فقالت: إذا كانت للتذكار محاورة، وللشوق محاضرة، يا ذا النون أما علمت أن الشوق يورث السقام، وتجديد التذكار يورث الأحزان! ثم أنشأت تقول:

لم أذق طعم وصلك حتى * زال عني محبتي للأنام
ثم أنشأت تقول:

نعم المحب إذا تزايد وصله * وعلت محبته بعقب وصال
فقال أو جعتني أما علمت أنه لا يبلغ إليه إلا بترك من دونه.
* حدثنا أحمد بن إسحاق ثنا أحمد بن الحسين الأنصاري ثنا أبو
عصمة قال كنت عند ذي النون وبين يديه فتى حسن يملئ عليه شيئا
قال فمرت امرأة ذات جمال وخلق قال فجعل الفتى يسارق النظر
إليها، قال ففطن ذو النون فلوى عنق الفتى وأنشأ يقول:
دع المصوغات من ماء وطن * واشغل هواك بحور عين

(١١) مع الزنجي في التيه

* حدثنا عثمان بن محمد قال سمعت أبا الحسن المذكر يذكر عن
بعض أشياخه عن ذي النون قال: صحبت زنجيا في التيه وكان
مفلفل الشعر، فإذا ذكر الله أبيض، فورد على أمر عظيم، فقلت:
لم يا هذا إنك إذا ذكرت الله تحول لونك وانقلبت عيناك؟ قال:
فجعل يخطر في التيه ويقول:

ذكرنا وما كنا لننسى فنذكر * ولكن نسيم القرب يبدو فيظهر
فاحيى به عنى واحيى به له * إذ الحق عنه مخبر ومعبّر
قال ذو النون: فما طرق سمعى مثل حكمة ذلك الزنجى فعلمت
أن لله تعالى عبادة تعالى قلوبهم بالأذكار كما تعالى الأطيّار فى
الأوكار، لو فتشت منهم القلوب لما وجدت فيها غير حب المحبوب.
قال ثم بكى ذو النون وأنشأ يقول:

وأذكر أصنافا من الذكر حشوها * وداود وشوق يبعثان على الذكر
فذكر اليف الحب ممتزج بها * يحل محل الروح فى طرفها يسرى
وذكر يعز النفس منها لأنه * لها متلف من حيث يدرى ولا تدرى
وذكر علامى المفاوز والذرى * يجل عن الأوصاف بالوهم والفكر
(١٢) مع يوسف بن الحسين :

* حدثنا أبو عمرو عثمان بن محمد ثنا أبو الحسين محمد بن
عبد الله بن جعفر الرازى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول: بلغنى
أن ذا النون يعلم اسم الله الأعظم فخرجت من مكة قاصدا إليه حتى
وافيته فى جيزة مصر، فأول ما بصرنى رآنى وأنا طويل اللحية وفى
يدى ركوة طويلة، متزر بمئزر وعلى كتفى مئزر وفى رجلى ناسومة،
فاستشنع منظرى فلما سلمت عليه كأنه ازدرانى، ولم أر منه تلك

البشاشة، فقلت فى نفسى: ما تدرى مع من وقعت؟ قال: فجلست ولم أبرح من عنده فلما كان بعد يومين أو ثلاثة جاءه رجل من المتكلمين فناظره فى شىء من الكلام فاستظهر على ذى النون وعليه فاغتنمت ذلك وبركت بين يديهما واستلبت المتكلم إلى وناظرته حتى قطعته. ثم ناظرته بشىء لم يفهم كلامى قال: فتعجب ذو النون - وكان شيخا وأنا شاب - قال فقام من مكانه وجلس بين يدي وقال: اعذرني فأنى لم أعرف محللك من العلم، وأنت أثر الناس عندي. قال فما زال بعد ذلك يجلى ويكرمنى ويرفعنى عن جميع أصحابه حتى بقيت على ذلك سنة فقلت له بعد ذلك: يا أستاذ أنا رجل غريب وقد اشتقت إلى أهلى وقد خدمتك سنة وقد وجب حقى عليك، وقيل لى إنك تعرف اسم الله الأعظم وقد جربتني وعرفت أنى أهل لذلك، فإن كنت تعرفه فعلمنى إياه. قال: فسكت ذو النون عنى ولم يجبنى بشىء وأوهمنى أنه لعله يقول لى ويعلمنى ثم سكت عنى ستة أشهر فلما كان بعد ستة أشهر من يوم مسألتى إياه قال لى: يا أبا يعقوب أليس تعرف فلانا صديقنا بالفسطاط الذى يجيئنا؟ - وسمى رجلا - فقلت بلى! قال: فأخرج إلى من

بيته طبقا فوقه مكبة مشدود بمنديل فقال لى: أوصل هذا إلى من سميت لك بالفسطاط. قال: فأخذت الطبق فإذا طبق خفيف يدل على أن ليس فى جوفه شىء، فلما بلغت الجسر الذى بين الفسطاط والجيزة قلت فى نفسى: ذو النون يوجه إلى رجل بهدية وهذا أرى طبقا خفيفاً لأبصرن أى شىء فيه. قال فحللت المنديل ورفعت المكبة فإذا فأرة قد قفزت من الطبق فمرت. قال: فاغتظت وقلت إنما سخر بى ذو النون ولم يذهب وهمى إلى ما أراد فى الوقت. قال: فجئت إليه وأنا مغضب فلما رآنى تبسم وعرف القصة وقال: يا مجنون ائتمنتك فى فأرة فخنتنى. أئتمنتك على اسم الله الأعظم. قم عنى فارتحل ولا أراك بعد هذا.

خامساً - من عيون الشعر الصوفي لذى النون

من عيون الشعر الصوفي لذى النون :

* أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد البغدادى - فى كتابه وقد رأيته - وحدثنى عنه عثمان بن محمد العثمانى قال أنشدنى محمد بن عبد الملك بن هاشم لذى النون بن إبراهيم المصرى رحمه الله تعالى:

الحمد لله حمداً لا نفاذ له * حمداً يفوت مدا الاحصاء والعدد
ويعجز اللفظ والأوهام مبلغه * حمداً كثيراً كاحصاء الواحد الصمد
ملء السموات والأرضين مذ خلقت * ووزنهن وضعف الضعف فى الغدد
وضعف ما كان وما قد يكون إلى * بعد القيامة أو يفنى مدا الأبد
وضعف ما درت الشمس الشروق به * وما اختلفى فى سماء أو ترى جرد
وضعف أنعمه فى كل جارحة * وكل نفسة نفس واكتساب يد
شكراً لما خصنا من فضل نعمته * من الهدى ولطيف الصنع والرفد
رب تعالى فلا شئ يحيط به * وهو المحيط بنا فى كل مرتصد
لا الأين والحيث والكيف يدركه * ولا يحد بمقدار ولا أمد
وكيف يدركه حد ولم تره * عين وليس له فى المثل من أحد
أم كيف يبلغه وهم بلا شبه * وقد تعالى عن الأشباه والولد
من أنشأ قبل الكون مبتدعا * من غير شئ قديم كان فى الأبد

ودهر الدهر والأوقات واختلفت * بما يشاء فلم ينقص ولم يزد
 إذ لا سماء ولا أرض ولا شبح * فى الكون سبحانه من قاهر صمد
 ما ازداد بالخلق ملكا حين أنشأهم * ولا يريد بهم دفعا لمضطهد
 وكيف وهو غنى لافتقار به * والخلق تضطر بالتصريف والأود
 ولم يدع خلق ما لم يبد خلقتة * عجزا على سرعة منه ولا تؤد
 إحاطة بجميع الغيب عن قدر * أحصى بها كل موجود ومفتقد
 وكلهم باضطرار الفقر معترف * إلى فواضله فى كل معتمد
 العالم الشئ فى تصريف حالته * ما عاد منه وما يمضى فلم يعد
 ويعلم السر من نجوى القلوب وما * يخفى عليه خفى جال فى خلد
 ويسمع الحس من كل الورى ويرى * مدارج الذرفى صفوانه الجلد
 وما توارى من الابصار فى ظلم * تحت الثرى وقرار الغم والنمد
 الأول الآخر الفرد المهيمن لم * يعزب ولم يدكر قرب ولا بعد
 عال على عليم لا زوال له * ولم يزل أزليا غير ذى فقد
 وجل فى الوصف عن كنه الصفات وعن * مقال ذى الشك والا لحاد والعند
 من لا يجازى بنعمى من فواضله * ولم ينله بمدح وصف مجتهد
 وكل فكرة مخلوق إذا اجتهدت * بمدحه لم تنل إلا إلى الأبد
 مسبح بلغات العارفات به * لم تدر ما غيره ربا ولم تجد
 الفالق النور والظلماء وهى على * ما تقاذف بالأمواج والزبد

- إذا مدها مد فوق الريح منشئها * فسبحت وهي فوق الماء فى ميد
وشدها بالجبال الصم فاضطأدت * أركانها بشداد الصخر والجلد
برا السموات سقفاثم أنشأها * سبعا طباقا بلا عون ولا عمد
تقلهن مع الأرضين قدرته * وكل ذلك لم يثقل ولم يؤد
وبث فيها صنوفا من بدائعه * من الخلاق من مثتى ومن وهد
من كل جنس برا أصنافه وذرا * أشباحه بين مكسور ومنجرد
فيها الملائك بالتسبيح خاضعة * لا يسأمون لطول الدهر والأمد
فمنهم تحت سوق العرش أربعة * كالثور والنسر والإنسان والأسد
فكل ذى خلقة يدعو لمشبّهه * فى الخلق بالعيشة المرضية الرغد
برا السماء بروجها من كواكبها * تجرين من فلك الافلاك فى كبد
منها جوار ومنها راكد أبدا * والقطب فى مركز منهن كالوتد
والشهب تحرق فيها بينين إلى * قذف الشياطين من جناتها المرد
وكل مسترق للسمع يتبعه * منها شهاب نجوم دائم الرصد
ويرفع الغيم أعصارها فتري * فيها الصواعق بين الماء والبرد
على هواء رقيق فى لطافته * يحيى به كل ذى روح وذى جسد
وصير الموت فوق الخلق لا لجأ * منه ولا هرب إلى سند
فالموت ميت وكل هاكون خلا * وجه الإله الكريم الدائم الصمد
أفنى القرون وأفنى كل ذى عمر * كعمر نوح ولقمان أخى لبد

يا رب انك ذو عفو ومغفرة * فنحننا من عذاب الموقف النكد
واجعل إلى جنة الفردوس موئلا * مع النبيين والأبرار فى الخلد
سبحان ربك رب العز من ملك * من اهتدى بهدى رب العالمين هدى

★ ★ ★

* حدثنا أحمد بن محمد بن مقسم قال سمعت الحسن بن على بن
خلف يقول سمعت إسرافيل يقول سمعت ذا النون المصرى يقول:

أموت وما ماتت إليك صبابتى * ولا رويت من صدق حبك أو طارى
منادى المناكل المنا أنت لى منى * وأنت الغنى كل الغنى عند إقصارى
وأنت مدا سؤلى وغاية رغبتى * وموضع شكواى ومكنون إضمارى
تحمل قلبى فيك مالا أبثه * وإن طال سقمى فيك أو طال أضرارى
وبين ضلوعى منك مالولاك قد بدا * ولم ييسد بادية لأهلى ولا جارى
وبى منك فى الاحشاء داء مخامر * فقد هد منى الركن واثبت أسرارى
ألست دليل الركب إن هم تحيروا * ومنقذ من أشفى على جرف هارى
أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن * من النور فى أيديهم عشر معشارى
فقلنى بعفو منك أحيى بقربه * وغش بيسر منك فقرى وإعسارى

★ ★ ★

* حدثنا أحمد بن محمد بن مقسم قال سمعت الحسن بن على بن
خلف قال لى إسرافيل: أنشدنى ذو النون المصرى:

مجال قلوب العارفين بروضه * سماوية من دونها حجب الرب
معسكرها فيها مجنى ثمارها * تتسم روح الإنس لله من قرب
يكنفها من عالم السر قربه * فلو قدر الآجال ذابت من الحب
وأروى صداها صرف كاسات حبه * وبرد نسيم جل عن منتهى الخطب
فيال قلوب قربت فتقربت * لذى العرش ممن زين الملك بالقرب
رضاها فارضاها فحازت مدا الرضى * وحلت من المحبوب بالمنزل الرحب
لها من لطيف الحب عزم سرت به * ويهتك بالأفكار ما داخل الحجب
فإن فقدت خوف الفراق لألفها * أدامت حنينا تطلب الانس بالقرب
سرى سرها بين الحبيب وبينها * فاضحى مصونا من سوى الرب فى القلب

(١) ذو النون يعظ الخليفة المتوكل :

* حدثنا أبى ثنا أحمد ثنا سعيد بن عثمان حدثنى إبراهيم بن يحيى الزيدى قال: لما حمل ذو النون بن إبراهيم إلى جعفر المتوكل أنزله فى بعض الدور وأوصى به زرافة. وقال: أنا إذا رجعت غدا من ركوبى فأخرج إلى هذا الرجل، فقال له زرافة: إن أمير المؤمنين قد أوصانى بك، فلما رجع من الغد من الركوب قال له: انظر بأن تستقبل أمير المؤمنين بالسلام، فلما أخرجه إليه قال له: سلم على أمير المؤمنين، فقال ذو النون: ليس هكذا جاءنا الخبر، إنما جاءنا فى الخبر أن الراكب يسلم على الراحل. قال: فتبسم أمير المؤمنين وبدأه بالسلام فنزل إليه أمير المؤمنين فقال له: أنت زاهد أهل مصر؟ قال: كذا يقولون. فقال له: فإن أمير المؤمنين يحب أن يسمع من كلام الزهاد. قال: فأطرق مليا ثم قال: يا أمير المؤمنين إن الجهل علق بنكتة أهل الفهم، يا أمير المؤمنين إن لله عبادا عبدوه بخالص من السر فشرفهم بخالص من شكره، فهم الذين قرء صحفهم مع الملائكة فرغا حتى إذا صارت إليه ملأها من سر ما أسروا إليه، أبدانهم

دنياوية، وقلوبهم سماوية، قد احتوت قلوبهم من المعرفة كأنهم يعبدونه مع الملائكة بين تلك الفرج وأطباق السموات، لم يخبثوا فى ربيع الباطل، ولم يرتعوا فى مصيف الآثام، ونزهوا الله أن يراهم يثبون على حبال مكره، هيبة منهم له وإجلالا أن يراهم يبيعون أخلاقهم بشيء لا يدوم، وبلذة من العيش مزهودة، فأولئك الذين أجلسهم على كراسى أطباق أهل المعرفة بالأدواء والنظر فى منابت الدواء، فجعل تلامذتهم أهل الورع والبصر، فقال لهم: إن أتاكم عليل من فقدى فداووه، أو مريض من تذكرى فأدنوه، أو ناس لنعمتى فذكروه، أو مبارز لى بالمعاصى فناذبوه أو مسح لى فواصلوه، يا أوليائى فلکم عاتبت ولكم خاطبت ومنكم الوفاء طلبت، لا أحب استخدام الجبارين، ولا تولى المتكبرين، ولا مصافاة المترفين، يا أوليائى وأحبائى جزائى لكم أفضل الجزاء، وإعطائى لكم أفضل العطاء، وبذلى لكم أفضل البذل، وفضلى عليكم أوفر الفضل، ومعاملتى لكم أوفى المعاملة، ومطالبتى لكم أشد المطالبة، وأنا مقدس القلوب، وأنا علام الغيوب، وأنا عالم بمجال الفكر، ووسواس الصدور من أرادكم قصمته، ومن عاداكم أهلكته. ثم قال ذو النون بحبك وردت قلوبهم على بحر محبته فاغترقت منه ريا من

الشراب فشربت منه بمخاطر القلوب، فسهل عليها كل عارض عرض لها عند لقاء المحبوب، فواصلت الأعضاء المبادرة، وألفت الجوارح تلك الراحة، فهم رهائن أشغال الأعمال، قد اقتلعتهم الراحة بما كلفوا أخذه عن الانبساط بما لا يضرهم تركه، قد سكنت لهم النفوس، ورضوا بالفقر والبوس، واطمأنت جوارحهم على الدؤوب على طاعة الله عز وجل بالحركات، وظننت أنفسهم عن المطاعم والشهوات، فتوالهوا بالفكرة، واعتقدوا بالصبر، وأخذوا بالرضا، ولهوا عن الدنيا، وأقروا بالعبودية للملك الديان، ورضوا به دون كل قريب وحميم، فخشعوا لهيبته، وأقروا له بالتقصير، وأذعنوا له بالطاعة، ولم يبالوا بالقلة، إذا خلوا، بأقل بكاء وإذا عوملوا فإخوان حياء وإذا كلموا فحكماء وإذا سئلوا فعلماء وإذا جهل عليهم فحلمااء فلو قد رأيتهم لقلت عذارى فى الخدور، وقد تحركت لهم المحبة فى الصدور بحسن تلك الصور التى قد علاها النور، إذا كشفت عن القلوب رأيت قلوبا لينة منكسرة، وبالذكر نائرة وبمحادثة المحبوب عامرة، لا يشغلون قلوبهم بغيره، ولا يميلون إلى ما دونه، قد ملأت محبة الله صدورهم، فليس يجدون لكلام المخلوقين شهوة، ولا بغير الأنيس ومحادثة الله لذة، إخوان صدق وأصحاب حياء

ووفاء وتقى وورع وإيمان ومعرفة ودين، قطعوا الأودية بغير مفاوز، واستقلوا الوفاء بالصبر على لزوم الحق، واستعانوا بالحق على الباطل فأوضح لهم الخجعة، ودلهم على المحجة، فرفضوا طريق المهالك، وسلخوا خير المسالك ودلهم أولئك هم الأوتاد الذين بهم توهب المواهب، وبهم تفتح الأبواب، وبهم ينشأ السحاب، وبهم يدفع العذاب، وبهم يستقى العباد والبلاد، فرحمة الله علينا وعليهم.

(٢) ويعظ صاحبه أبى زرافة :

* حدثنا عثمان بن محمد أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى حدثنى محمد بن أحمد الحذاء قال سمعت هارون بن عيسى البغدادي يقول حدثنى أبى عن زرافة صاحب المتوكل قال: لما انصرف ذو النون من عند أمير المؤمنين دخل على ليودعنى فقلت له: اكتب لى دعوة. ففعل فقربت إليه جام لوزينج فقلت له: كل من هذا فإنه يزن الدماغ وينفع العقل. فقال ينفعه غير هذا. قلت: وما ينفعه؟ قال: اتباع أمر الله والانتهاى عن نهيه أما علمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إنما العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه؟ فقلت: أكرمنى بأكله فقال: أريد غير هذا. قلت: وأى شىء تريد؟ فقال: هذا لمن لا يعرف الحل ولا يعرف أكله وإن أهل معرفة الله

يتحذرون خلاف هذا اللوزينج. قلت: لا أظن أحداً في الدنيا يحسن أن يتخذ أجود من هذا، وأن هذا من مطبخ أمير المؤمنين المتوكل على الله. فقال: أنا أصف لك لوزينج المتوكل على الله. قلت: هات لله أبوك. قال: خذ لباب مكنون محض طعام المعرفة، واعجنه بماء الاجتهاد، وانصب اثقية الانكماش، وطابق صفو الوداد، ثم خبز خبز لوزينج العباد، بحر نيران نفس الزهاد، وأوقده بحطب الأسى حتى ترمى نيران وقودها بشرر الضنا، ثم احش ذلك بقميد الرضا، ولوز الشجا من ضوضان بمهراس الوفا مطيبا بطينة رقة عش الهوى، ثم اطوه طي الأكياس للأيام بالعرا، وقطعه بسكاكين السهر في جوف الدجا ورفض لذيق الكرا، ونضده على جامات القلق والسهر، وانتثر عليه سكرأ بعمل من زفريات الحرق، ثم كله بأنامل التفويض في ولائم المناجاة بوجدان خواطر القلوب، فعند ذلك تفريج كرب القلوب، ومحل سرور المحب بالملك المحبوب، ثم ودعنى.

(٣) قول جامع في معالم «الطريق إلى الله»

من الإخلاص في «الصلاة» إلى «الإنس بالله»:

* أخبرنا محمد بن أحمد البغدادي - في كتابه - وحدثني عنه عثمان بن محمد حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال سمعت ذا

النون المصري أبا الفيض وسأله قلت: متى تخلص لله صلاتي؟ قال: إذا سكنت معادن الأنوار من قلبك ونفذته في ملكوت همك. قلت: متى يتم زهدى بعد ورعى؟ قال: إذا جعلت الفرض لك معلما، وأقمت الطاعة لك مفهما. قلت فمتى أو من؟ قال: إذا اشتمل الفرض على أمرك، وملكت الطاعة على نفسك. قلت: فمتى أتوكل؟ قال: اليقين إذا تم سمي توكلا، قلت: متى يتم حبي لربي؟ قال: إذا سمجت الدنيا في عينك، وقذفت أملك فيها بين يديك. قلت: فمتى أخاف ربي؟ قال إذا سرحت بصرك في عظمته، ومثلت لنفسك أمثال نغمته. قلت: متى يتم صومي؟ قال إذا جوعت نفسك من البغضاء، وأمت لسانك من الفحشاء. قلت: فمتى أعرف ربي؟ قال: إذا كان لك جليسا ولم تر لنفسك سواه أنيسا قلت: فمتى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما أسخطه عندك أمر من الصبر قلت: فمتى أشتاق إلى ربي؟ قال: إذا جعلت الآخرة لك قرارا، ولم تسم الدنيا لك مسكنا ودارا قلت: فمتى يشتد في بغض الدنيا؟ قال إذا جعلت الدنيا طريق مخافة لا تلتفت إلى ما قطعت منها وجعلت الآخرة ساحة مأمونة لا تأمن إلا بالنزول فيها.

قلت: فمتى أحب لقاء ربي؟ قال: إذا كنت تقدم على حبيب
وتصير عن أمر قريب. قلت: فمتى أستلذ الموت؟ قال: إذا جعلت
الدنيا خلف ظهرك، وجعلت الآخرة نصب عينيك. قلت فمتى أتقى
شهوات مطاعم الأرض؟ قال إذا خالط قلبك الملكوت ومزج في
سرائر الجبروت قلت فمتى تطيب معرفتي؟ قال: إذ استوحشت من
الدنيا واشتد فرحك بنزول البلاء. قلت: فمتى أستقيح الدنيا؟ قال:
إذا علمت أن زينتها فساد كل معنى، وأن محاسنها تقضى إلى كل
حسرة. قلت: فمتى أكتفى بأهون الأغذية؟ قال: إذا عرفت هلاك
الشهوات وسرعة انقطاع عذوبة اللذات. قلت: فمتى قنوع التمام؟
قال: إذا كان زخرف الدنيا عندك صغيراً، وكان خوف الآخرة لك
ذكراً. قلت: فمتى أستحق ترك الجمع؟ قال: إذا عرفت أنك منقول
إلى معاد وأنت مأخوذ بتبعات العباد. قلت: فمتى آمر بالمعروف؟
قال: إذا كانت شفقتك على غيرك وخالفت العباد لمحبة ربك. فمتى
أوثر الله ولا أوثر عليه سواه؟ قال: إذا أبغضت فيه الحبيب،
وجانبت فيه القريب. قلت: فمتى أفزع إلى ذكره وأنس بشكره؟
قال: إذا سررت ببلائه وفرحت بنزول قضائه.

(٤) من ابتهالات العارفين :

* حدثنا محمد بن أحمد بن الصباح ثنا أبو بكر محمد بن خلف المؤدب - وكان من خيار عباد الله - قال: رأيت ذا النون المصري على ساحل البحر عند صخرة موسى، فلما جن الليل خرج فنظر إلى السماء والماء فقال: سبحان الله ما أعظم شأنكما، بل شأن خالقكما أعظم منكما ومن شأنكما. فلما تهور الليل لم يزل ينشد هذين البيتين إلى أن طلع عمود الصبح:

اطلبوا لأنسكم مثل ما وجدت أنا
قد وجدت لى مكنا ليس هو فى هواه عنا
إن بعدت قرينى أو قرئت منه دنا

* أنشدنا عثمان بن محمد العثمانى قال أنشدنى العباس بن أحمد لذى النون المصرى:

إذا ارتحل الكرام إليك يوماً * ليتمسوك حالا بعد حال
فإن رجالنا حطت لترضى * بحلمك عن حلول وارتحال
أنخنا فى فنائك يا إلهى * إليك معرضين بلا اعتلال
فمسننا كيف شئت ولا تكلنا * إلى تدبيرنا يا ذا المعالى

* حدثنا أحمد بن محمد بن مصقلة ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال سمعت ذا النون يقول: أسألك باسمك الذى ابتدعت به عجائب الخلق فى غوامض العلم، وجود جلال جمال وجهك فى عظيم عجيب تركيب أصناف جواهر لغاتها فخرت الملائكة سجدا لهيبتك من مخافتك، أن تجعلنا من الذين سرحت أرواحهم فى العلى، وحطت همم قلوبهم فى مغربات الهوى، حتى أناخوا فى رياض النعيم وجنوا من ثمار التسليم وشربوا بكأس العشق وخاضوا لبحج السرور واستظلوا تحت فناء الكرامة اللهم اجعلنا من الذين شربوا بكأس الصفا فأورثهم الصبر على طول البلاء، حتى توليت قلوبهم فى الملكوت، وجالت بين سرائر حجب الجبروت ومالت أرواحهم فى ظل برد نسيم المشتاقين الذين أناخوا فى رياض الراحة ومعدن العز وعرسات المخلدين.

* حدثنا عثمان بن محمد العثمانى ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد ثنا محمد ابن عبد الملك بن هاشم قال سمعت ذا النون المصرى يقول فى دعائه: اللهم إليك تقصد رغبتى، وإياك أسأل حاجتى ومنك أرجو نجاح طلبتى، وبيدك مفاتيح مسألتى لا أسأل الخير إلا منك ولا أرجوه من غيرك ولا أياس من روحك بعد معرفتى

بفضلك، يا من جمع كل شيء حكمته، ويا من نفذ في كل شيء حكمه، يا من الكريم اسمه لا أحد لي غيرك فأسأله، ولا أثق بسواك فأمله، ولا أجعل لغيسرك مشيئة من دونك أعتصم بها، وأتوكل عليه، فمن أسأل إن جهلتك، وبمن أثق بعد إذ عرفتك اللهم إن ثقتي بك وأن ألهمتني الغفلات عنك وأبعدتني العثرات منك بالاغترار، يا مزيل العثرات إن لم تتلافني بعصمة من العثرات فإنني لا أحول بعزيمة من نفسي ولا أروم على خليفة بمكان من أمرى. أنا نعمة منك وأنا قدر من قدرك، أجرى في نعمك، وأسرح في قدرك، ازداد على سابقة علمك، ولا انتقص من عزيمة أمرك، فأسألك يا منتهى السؤالات، وارغب إليك يا موضع الحاجات سواك، من قد كذب كل رجاء إلا منك ورغبة من رغب عن كل ثقة إلا عنك، أن تهب لي إيمانا أقدم به عليك، وأوصل به عظم الوسيلة إليك، وأن تهب لي يقينا لا توهنه بشبهة أفك، ولا تهنه خطرة شك، ترحب به صدري، وتيسر به أمرى، ويأوى إلى محبتك قلبي، حتى لا ألهو عن شكرك، ولا أنعم إلا بذكرك يا من لا تمل حلاوة ذكره ألسن الخائفين، ولا تكل من الرغبات إليه مدامع الخاشعين، أنت منتهى سرائر قلبي في خفايا الكتم، وأنت موضع رجائي بين إسراف

الظلم. من ذا الذى ذاق حلاوة مناجاتك فلها برضاة بشر عن طاعتك ومرضاتك؟ رب أفنيت عمري فى شدة السهو عنك، وأبليت شبابى فى سكرة التباعد منك، ثم لم أستبطئ لك كلاءة ومنعة فى أيام اغترارى بك وركونى إلى سبيل سخطك، وعن جهل يا رب قربتنى الغرة إلى غضبك، أنا عبدك ابن عبدك قائم بين يديك متوسل بكرمك إليك، فلا يزلنى عن مقام أقمتنى فيه غيرك، ولا ينقلنى من موقف السلامة من نعمك إلا أنت أتصل إليك بما كنت أواجهك به من قلة استحيائى من نظرك، وأطلب العفو منك يا رب إذ العفو نعمة لكرمك يا من يعصى ويتاب إليه فيرضى، كأنه لم يعص بكرم لا يوصف، وتحنن لا ينعت، يا حنان بشفقته، يا متجاوزاً بعظمته، لم يكن لى حول فأنثقل عن معصيتك إلا فى وقت أيقظتنى فيه لمحبتك، وكما أردت أن أكون كنت، وكما رضيت أن أقول قلت، خضعت لك وخشعت لك إلهى لتعزنى بإدخالى فى طاعتك، ولننظر إلى نظر من ناديته فأجابك واستعملته بمعونتك فأطاعك، يا قريب لا تبعد عن المعتزين، وبأ ودود لا تعجل على المذنبين، اغفر لى وارحمنى يا أرحم الراحمين.

* * *

* حدثنا سليمان بن أحمد ثنا على بن الهيثم المصرى قال سمعت
 ذو النون المصرى العابد أبا الفيض يقول: اللهم اجعلنا من الذين
 جازوا ديار الظالمين، واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين وشابوا ثمرة
 العمل بنور الإخلاص، واستبقوا من عين الحكمة، وركبوا سفينة
 الفطنة، وأقلعوا بريح اليقين، ولججوا فى بحر النجاة، ورسوا بشط
 الإخلاص. اللهم اجعلنا من الذين سرحت أرواحهم فى العلا، وحطت
 همم قلوبهم فى عاريات التقى حتى أناخوا فى رياض النعيم، وجنوا
 من رياض ثمار التسليم، وخاضوا لجة السرور، وشربوا بكأس
 العيش. واستظلوا تحت العرش فى الكرامة. اللهم اجعلنا من الذين
 فتحوا باب الصبر وردموا خنادق الجزع، وجازوا شديد العقاب،
 وعبروا جسر الهوى، فإنه تعالى يقول ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى
 النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ اللهم اجعلنا من الذين أشارت
 إليهم أعلام الهداية، ووضحت لهم طريق النجاة، وسلكوا سبيل
 إخلاص اليقين.

* * *

* حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم حدثني أحمد بن محمد ابن حمدان النيسابوري أبو حامد ثنا عبد القدوس بن عبد الرحمن الشامي قال سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم المصري يقول: إلهي وسيلتي إليك نعمك على، وشفيعي إليك إحسانك إلهي، إلهي أدعوك في الملا كما تدعى الأرباب، وأدعوك في الخلا كما تدعى الأحباب، أقول في الملا يا إلهي، وأقول في الخلا يا حبيبي أرغب إليك وأشهد لك بالربوبية مقرا بأنك ربي، وإليك مردى، ابتدأتني برحمتك من قبل أن أكون شيئا مذكورا، وخلقتنى من تراب ثم أسكنتنى الأصلاب ونقلتنى إلى الأرحام، ولم تخرجنى برأفتك فى دولة ائمة ثم أنشأت خلقى من منى يمنى ثم أسكنتنى فى ظلمات ثلاث بين دم ولحم ملتبات وكونتنى فى غير صورة الاناث ثم نشرتنى إلى الدنيا تاما سويا وحفظتنى فى المهد طفلا صغيرا صبيا، ورزقتنى من الغذاء لبنا مريا، وكفلتنى حجور الأمهات واسكنت قلوبهم رقة لى وشفقة على وربتنى بأحسن تربية ودبرتني بأحسن تدبير وكلاتنى من طوارق الجن وسلمتنى من شياطين الانس وصنتنى من زيادة فى بدنى تشيننى ومن نقص فيه يعيبنى فتباركت ربي وتعاليت يا رحيم فلما استهللت بالكلام أتممت على

سوابغ الأنعام، وأنبئتني زائداً في كل عام، فتعاليت يا ذا الجلال والاکرام، حتى إذا ملكتنى شانى، وشددت أركانى أكملت لى عقلى، حجاب الغفلة عن قلبى وألهمتنى النظر فى عجيب صنائعك، وبدائع عجائبك ورفعت وأوضحت لى حجتك ودللتنى على نفسك وعرفتني ما جاءت به رسلك، ورزقتني من أنواع المعاش وصنوف الرياش بمنك العظيم، وأحسنك القديم، وجعلتنى سويًا ثم لم ترض لى بنعمة واحدة دون أن أتمت على جميع النعم، وصرفت عني كل بلوى، وأعلمتنى الفجور لأجتنبه، والتقوى لأقتربها، وأرشدتنى إلى ما يقربني إليك زلفى، فإن دعوتك أجبتني، وإن سألتك أعطيتني، وإن حمدتك شكرتنى، وإن شكرتك زودتنى. إلهى فأى نعم أحصى عدداً؟ وأى عطائك أقوم بشكره؟ أما أسبغت على من النعماء أو صرفت عني من الضراء. إلهى أشهد لك بما شهد لك باطنى وظاهرى وأركانى، إلهى إنى لا أطيق إحصاء نعمك فكيف أطيق شكرك عليها؟ وقد قلت وقولك الحق (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أم كيف يستغرق شكرى نعمك وشكرك من أعظم النعم عندي وأنت المنعم به على، كما قلت سيدي (وما بكم من نعمة فمن الله) وقد صدقت قولك. إلهى وسيدي بلغت رسلك بما

أنزلت إليهم من وحيك غير أنى أقول بجهدى ومنتهى علمى
ومجهود وسعى ومبلغ طاقتى: الحمد لله على جميع إحسانه حمدا
يعدل حمد الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين.

* * *

* حدثنا أحمد بن محمد بن مصقلة ثنا أبو عثمان سعيد بن
عثمان قال سمعت ذا النون أبا الفيض يقول: اللهم اجعلنا من الذين
تفكروا فاعتبروا، ونظروا فأبصروا، وسمعوا فتعلقت قلوبهم
بالمنازعة إلى طلب الآخرة حتى أناخت وانكسرت عن النظر إلى
الدنيا وما فيها ففتقوا بنور الحكم ما رتقه ظلم الغفلات وفتحوا
أبواب مغاليق العمى بأنوار مفاتيح الضياء، وعمروا مجالس
الذاكرين بحسن مواظبة استيдам الثناء اللهم اجعلنا من الذين
تراسلت عليهم ستور عصمة الأولياء، وحصنت قلوبهم بطهارة
الصفاء وزينتها بالفهم والحياء، وطيرت همومهم فى ملكوت
سمواتك حجابا حتى تنتهى إليك فرددتها بظرائف الفوائد. اللهم
اجعلنا من الذين سهل عليهم طريق الطاعة وتمكنوا فى أزمة
التقوى، ومنحوا بالتوفيق منازل الأبرار، فزينوا وقربوا
وكرموا بخدمتك.

وسمعه يقول: لك الحمد يا ذا المن والطول والآلاء والسعة، إليك
توجهنا وبفنائك أنخنا ولمعروفك تعرضنا، وبقربك نزلنا، يا حبيب
التائبين، يا سرور العابدين، يا أنيس المنفردين، يا حرز اللاجين،
ويا ظهر المنقطعين، ويا من حبب إليه قلوب العارفين وبه نست أفئدة
الصديقين، وعليه عطف رغبة الخائفين، يا من أذاق قلوب العابدين
لذيذ الحمد، وحلاوة الانقطاع إليه، يا من يقبل من تاب ويعفو عمن
أناب، ويدعو المولين كرما، ويرفع المقبلين إليه تفضلا، يا من يتأنى
على الخاطئين، ويحلم عن الجاهلين، ويا من حل عقدة الرغبة من
قلوب أوليائه، ومحا شهوة الدنيا عن فكر قلوب خاصته وأهل
محبتة، ومنحهم منازل القرب والولاية، ويا من لا يضيع مطيعا،
ولا ينسى صبيا، يا من منح بالنوال، ويا من جاد بالاتصال، يا ذا
الذى استدرك بالتوبة ذنوبنا، وكشف بالرحمة غمومنا، وصفح عن
جرمنا بعد جهلنا، وأحسن إلينا بعد إساءتنا، يا أنس وحشتنا ويا
طبيب سقمنا، يا غياث من أسقط بيده، وتمكن جبل المعاصي وأسفر
خدرا لحيا عن وجهه، هب خدودنا للتراب بين يديك يا خير من قدر
وأرأف من رحم وعفا.

* * *

obeikandi.com

الفهرس

الصفحة

الموضوع

- ☐ الإهداء ... ٧
- ☐ تقديم السلسلة ... ٩
- ☐ تصدير ... ١٤

الفصل الأول

ذو النون، حياته ومؤلفاته ومذهبه الصوفى

- أولاً : مكانته فى عالم التصوف الإسلامى. ٢٠
- ثانياً: حياته واهتماماته الفكرية. ٢١
- ثالثاً: آثاره وكتاباتة. ٢٨
- رابعاً: منهجه فى المعرفة.

ومذهبه فى التصوف. ٣٠

- ☐ الهوامش. ٣٨
- ☐ المصادر والمراجع. ٤١

الفصل الثانى

مختارات من نصوص ذى النون المصرى

○ أولاً : من ثلاثيات ذى النون المصرى فى علامات

الطريق الصوفى .. (٤٤)

(١) من ثلاثيات ذى النون فى « طرق المعرفة » (٤٤)

(٢) من ثلاثيات ذى النون فى علامات « الخوف » و « التوكل »

و « الصبر » و « الحكمة » و « الزهد » و « التواضع »

و « السخاء » و « الحياء » و « المعرفة » و « التسليم » .. (٤٦)

(٣) من ثلاثيات ذى النون عن علامات « المحبة »

و « الصواب » و « اليقين » و « الثقة فى الله » و « الشكر »

و « الرضا » و « الشوق » و « الإنس بالله » ... (٤٨)

○ ثانياً : فى معانى بعض معالم الطريق الصوفى (٥١)

(١) فى معنى الذكر وطريق الصدق والمعرفة. (٥١)



- (٢) فى حب الدنيا ومعنى «الإخلاص» ٥٢
- (٣) فى أبواب «الفطنة» ومعالم «الطريق إلى الله» ٥٣
- (٤) فى معنى «الزهد» و«القرب من الله» ٥٤
- (٥) فى معنى «التوكل» ٥٦
- (٦) فى حقيقة «السخاء» ٥٦
- (٧) فى حقيقة «الدنيا» ٥٧
- (٨) فى «الذنب» وأسبابه ٥٧
- (٩) الزهد «وصفة التوحيد» ٥٩
- ثالثاً : فى الحب الإلهى ٦١
- (١) الحب أغلب «أحوال» العارف ٦١
- (٢) معنى «الحب» وشواهد ٦٢
- (٣) طعم الحب الإلهى، والعلم والقرآن هما «الإنس» ٦٢
- (٤) علامة المحب ٦٣

- (٥) القرب فى القرب. ————— ٦٣
- رابعاً: حكاياته مع أهل الطريق وإخوانه فى الله. ————— ٦٥
- (١) حكايته مع أخيه العليل: حول نعمة المرض... ————— ٦٥
- (٢) مع جارية أنطاكية: حول معنى إسخاء والطاعة. ————— ٦٥
- (٣) حوار مع امرأة: حول أحزان الغربة وفضل البكاء. ————— ٦٦
- (٤) حوار بين رجل وامرأة يرويه ذو النون. ————— ٦٧
- (٥) مع «محب» بيت المقدس. ————— ٦٩
- (٦) مع رفيقة رابعة العدوية حول «الحب». ————— ٧٠
- (٧) مع رجل غاص فى بحر الوله. ————— ٧١
- (٨) مع فتى المركب. ————— ٧٢
- (٩) مع الفتى الناسك. ————— ٧٣



- (١٠) مع فتاة الكعبة والفتى الشره. ————— ٧٤
- (١١) مع الزنجى فى التيه. ————— ٧٥
- (١٢) مع يوسف بن الحسين. ————— ٧٦
- خامسا: من عيون الشعر الصوفى لذى النون ————— ٧٩
- سادسا: متفرقات صوفية .. ————— ٨٤
- (١) ذو النون يعظ الخليفة المتوكل .. ————— ٨٤
- (٢) ذو النون يعظ صاحب المتوكل أبو زرافة. ————— ٨٧
- (٣) قول جامع فى معالم الطريق إلى الله. «من
- الإخلاص فى الصلاة إلى الإنس بالله». ————— ٨٨
- (٤) من ابتهالات العارفين. ————— ٩١

مؤلفات أ. د. مصطفى النشار

(١) فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية :

- صدرت الطبعة الأولى عن دار التنوير - بيروت ١٩٨٤م.
- صدرت الطبعة الثانية عن مكتبة مدبولي بالقاهرة ١٩٨٦م.
- صدرت الطبعة الثالثة عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة عام ١٩٩٧م.
- صدرت الطبعة الرابعة عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة ٢٠٠٥م.

(٢) نظرية المعرفة عند أرسطو:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٥م.
- صدرت الطبعة الثانية والثالثة عن نفس الدار عامي ١٩٨٧م.
- صدرت الطبعة الرابعة عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٠م.

(٣) نظرية العلم الأرسطية - دراسة في منطق المعرفة العلمية عند أرسطو:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٦م.
 - صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ١٩٩٥م.
 - صدرت الطبعة الثالثة عن دار الثقافة العربية بالقاهرة عام ٢٠٠٠م.
- (٤) فلاسفة أيقظوا العالم:
- صدرت الطبعة الأولى عن دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٨٨م.
 - صدرت الطبعة الثانية عن دار الكتاب الجامعي بالعين، دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٩٠م.
 - صدرت الطبعة الثالثة عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٨م.

(٥) نحو رؤية جديدة للتأريخ الفلسفى باللغة العربية:

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة عام ١٩٩٥م.
- صدرت الطبعة الثانية بعنوان «نحو تأريخ عربى للفلسفة» عن دار قباء عام ٢٠٠١م.

(٦) نحو تأريخ جديد للفلسفة القديمة - دراسات فى الفلسفة المصرية واليونانية.

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة عام ١٩٩٢م.

- صدرت الطبعة الثانية عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(٧) مدرسة الاسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقى والفلسفة اليونانية:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٩٥م.

(٨) فلسفة التاريخ - معناها ومذاهبها:

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة عام ١٩٩٥م.

(٩) التفكير الفلسفى للصف الثالث الثانوى الأدبى (بالاشتراك):

- صدر عن وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة، نشرته دار الغرير للطباعة والنشر، دبی عام ١٩٩٥م.

(١٠) التفكير المنطقى للصف الثالث الثانوى الأدبى (بالاشتراك):

- صدر عن وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة، نشرته دار الغرير للطباعة والنشر، دبی عام ١٩٩٥م.

(١١) مكانة المرأة فى فلسفة أفلاطون - قراءة فى محاورتى
«الجمهورية والقوانين»:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠١م.

(١٢) من التاريخ إلى فلسفة التاريخ - قراءة فى الفكر التاريخى عند
اليونان:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(١٣) المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(١٤) مدخل لقراءة الفكر الفلسفى عند اليونان:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(١٥) مدخل جديد إلى الفلسفة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،
القاهرة عام ١٩٩٨م.

- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠٣ م.

(١٦) الخطاب السياسى فى مصر القديمة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،
القاهرة عام ١٩٩٨ م.

(١٧) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى (الجزء الأول)
السابقون على السوفسطائيين:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،
القاهرة عام ١٩٩٨ م.

- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠٤ م.

(١٨) ضد العولمة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،
القاهرة عام ١٩٩٩ م.

- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار القاهرة عام ٢٠٠١ م.

(١٩) فى فلسفة الثقافة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،
القاهرة عام ١٩٩٩ م.

(٢٠) تطور الفكر السياسى القديم من صولون حتى ابن خلدون:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،
القاهرة عام ١٩٩٩ م.

(٢١) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي (الجزء الثاني)
السوفسطائيون - سقراط - أفلاطون:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،
القاهرة على ٢٠٠٠ م.

- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠٤ م.

(٢٢) بين قرنين - معا إلى الألفية السابعة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،
القاهرة عام ٢٠٠٠ م.

(٢٣) رواد التجديد في الفلسفة المصرية المعاصرة في القرن العشرين.

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
بالقاهرة عام ٢٠٠٢ م.

(٢٤) أرسطوطاليس - حياته وفلسفته:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار الثقافة العربية، القاهرة ٢٠٠٢ م.

(٢٥) أعلام التراث الفلسفي المصري - على بن رضوان وفلسفته النقدية:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
بالقاهرة عام ٢٠٠٣ م.

(٢٦) أعلام التراث الفلسفي المصري - زكي نجيب محمود والحوار الأخير:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
بالقاهرة عام ٢٠٠٣ م.

(٢٧) ما بعد العولمة - قراءة لمستقبل التفاعل الحضارى:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
بالقاهرة عام ٢٠٠٣م.

(٢٨) حقوق الإنسان المعاصر بين الخطاب النظرى والواقع العملى:

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية للطباعة
والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٤م.

(٢٩) ثقافة التقدم وتحديث مصر:

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام
٢٠٠٤م.

(٣٠) الفكر الفلسفى فى مصر القديمة:

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام
٢٠٠٤م.

(٣١) تطور الفلسفة السياسية (من صولون حتى ابن خلدون):

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام
٢٠٠٥م.

(٣٢) مدخل إلى الفلسفة:

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام
٢٠٠٥م.